شعر



أمل دنقل

أقوال جديدة عن حرب البسوس



أقوال جديدة عن حرب البسوس

١٩٨٣

أمل دنقل

تصميم الغلاف: هند

طبقا لقوانين الملكية الفكرية

مقتل كليب

" الوصايا العشر "

. . فنظر " كليب " حواليه وتحسر . وذرف دمعـة وتعبـر ورأى عبدا واقفًا فقال له : أريد منك يا عبد الخير . قبـل أن تسلبني أن تسحبني إلى هذه البلاطة القريبة من هذا الغدير ، لأكتب وصيتي إلى أخي الأمير سالم الزير .

فأوصيه بأولادي وفلذة كبدي . .

فسحبه العبد إلى قرب البلاطة . والرمح غارس في ظهـره والدم يقطر من جنبه . . فمس " كليب إصبعه فـي الـدم . وخط على البلاط وأنشأ يقول . .

قصة الأمير

سالم الزير

لا تصالح

(١)

لا تُصالح !

. . ولو منحوك الذهب

أترُى حين أفقأُ عينَيك ،

ثم أثبتُ جوهرتين مكانهما . .

هل ترى . . ؟

هي أشياء لا تُشترى . .

ذكرياتُ الطفولةِ بين أخيك وبينك

حسُّكما ـ فجأةً ـ بالرجولة ، .

هذا الحياء الذي يكبتُ الشوقَ . . حين تعانقه ،

الصمتُ ـ مبتسمين ـ لتأنيب أمكما . .

وكأنكما

ما تزالان طفلَين !

تلك الطمأنينةُ الأبدية بينكما :

أن سيفان سيفَك . . .

صوتان صوتَك

أنك إن مت :

للبيتِ رب

وللطفل أب

هل يصير دمي ـ بين عينيك ـ ماء ؟

أتنسى ردائي الملطخ . .

تلبس ـ فوق دمائي ـ ثيابا مطرزةً بالقصب ؟

إنها الحرب

قد تُثقِل القلب . .

لكن خلفك عار العرب .

لا تصالح . .

ولا تتوخ الهرب !

(٢)

لا تُصالح على الدمِ . . حتى بدم !

لا تصالح ! ولو قيلَ رأس بِرأس

أكل الرؤوسِ سواء ؟

أقلب الغريبِ كقلبِ أخيك ؟ !

أعيناه عينا أخيك ؟

وهل تُساوي يد . . سيفُها كان لك

ببِرٍّ سيفُها أَثْكَلَك ؟

سيقولون :

جئناك كي تحقن الدم . .

جئناك . كُن يا أمير ـ الحكَم

سيقولون :

ها نحن أبناء عم

قُلْ لَهم إنهم لم يراعوا العمومةَ فيمن هلك

واغرس السيفَ في جبهةِ الصحراء . .

إلى أن يجيب العدم .

إنني كنتُ لَكَ

فارسا

وأخًا

وأبا

وملك !

(٣)

لا تُصالِح . .

ولو حرمتْك الرقَاد

صرخاتُ الندامة .

وتذكر . .
(إذا لان قلبك للنسوة اللابساتِ السواد ولأطفالهن الذين
تُخاصمهم الابتسامة)
أن بنت أخيك " اليمامة "
زهرةٌ تتسربلُ في سنوات الصبا ـ
بثياب الحداد . .
كنتُ ، إن عدتُ :
تعدو على درجِ القصر ،
تمسـ ـك سـ ـاقي عنـ ـد
نزولي . . .
فأرفعها ـ وهي ضاحكةٌ
فوق ظهرِ الجوادِ .
ها هي الآن . . صامتةٌ
حرمتْها يد الغدر :
من كلمات أبيها ،
ارتداء الثياب الجديدة
من أن يكون لها ـ ذات يوم ـ أخٌ !
من أب يتبسم في عرسها . .

وتعود إليه إذا الزوج أغضبها . .
وإذا زارها . . يتسابق أحفاده نحو أحضانِهِ ،
لينالوا الهدايا . .
ويلهوا بلحيته (وهو مستسلم)
ويشدوا العمامة . .
لا تصالح !
فما ذنب تلك اليمامة
لترى العش محترقًا . . فجأةً
وهي تجلس فوق الرماد ؟ !
لا تصالح
ولو توجوك بتاجِ الإمارة .
كيف تخطو على جثةِ ابن أبيك . . ؟
وكيف تصير المليك . .
على أوجهِ البهجةِ المستعارة ؟
كيف تنظر في يد من صافحوك . .
فلا تُبصر الدم . .
في كل كفّ ؟
إن سهما أتاني من الخلف . .

سوف يجيئُك من ألفِ خاف .

فالدم ـ الآن ـ صار وساما وشارة

لا تصالح ،

ولو توجوك بتاجِ الإمارة

إن عرشَك : سيفٌ

وسيفَك : زيفٌ

إذا لم تزن ـ بذؤابتِهِ ـ لحظاتِ الشرف

واستطبت ـ الترف

(٥)

لا تُصالح

ولو قالَ من مالَ عند الصدام

" ما بنا طاقةٌ لامتشاقِ الحسام . . "

عندما يملأُ الحق قلبك :

تندلع النار إن تتنفس

ولسان الخيانةِ يخرس

لا تُصالح ،

ولو قِيلَ ما قيلَ من كلماتِ السلام

كيف تستنشقُ الرئتان النسيم المدنس ؟

كيف تنظر في عيني امرأةٍ . .
أنتَ تعرفُ أنك لا تستطيع حمايتَها ؟
كيف تصبح فارسها في الغرام ؟
كيف ترجو غدا . . لوليدٍ ينام
ـ كيف تحلم أو تتغنى بمستقبلٍ لغلام
وهو يكبر ـ بين يديك ـ بقلبٍ منَكس ؟
لا تصالح
ولا تقتسم مع من قتلوك الطعام .
وارو قلبك بالدم . .
وارو التراب المقدس . .
وارو أسلافَك الراقدين . .
إلى أن ترد عليك العظام !

(٦)

لا تصالح ،
ولو ناشدتْك القبيلة
باسم حزن " الجليلة "
أن تسوقَ الدهاء ،
وتُبدي ـ لمن قصدوك ـ القبولَ

سيقولون :

ها أنت تطلب ثأرا يطول

فخُذْ ـ الآن ـ ما تستطيع :

قليلاً من الحق . .

في هذه السنوات القليلة

إنه ليس ثأرك وحدك ،

لكنه ثأر جيلٍ فجيل

وغدا . .

سوفَ يولد من يلبس الدرع كاملةً ،

يوقد النار شاملةً ،

يطلب الثأر

يستولد الحق ،

من أضلع المستحيل .

لا تصالح ،

ولو قيلَ عن التصالح حيلة .

إنه الثأر

تَبهتُ شعلتُه في الضلوعِ . .

إذا ما توالت عليها الفصول . .

ثم تبقى يد العارِ مرسومةً (بأصابِعِها الخمس)
فوقَ الجباة الذليلة !

(٧)

لا تصالح ولو حذرتْك النجوم
ورمى لك كهانُها بالنبأ . .
كنتُ أغفر لو أنني مِت . .
ما بين خيطِ الصوابِ وخيطِ الخَطَأ
لم أكن غازيا ،
لم أكن أتسللُ قرب مضاربِهم
أو أحوم وراء التخوم
لم أمد يدا لثمار الكروم
أرض بستانِهم لم أطأ
لم يصح قاتلي بي . " انتبه " !
كان يمشي معي . .
ثم صافحني . .
ثم سار قليلاً
ولكنه في الغصون اختبأ !
فجأةً :

ثقبتني قُشعريرةٌ بين ضلعين
واهتز قلبي ـ كفقاعةٍ ـ وانْفَثَأ
وتحاملْتُ ، حتى احتماتُ على ساعدي
فرأيتُ : ابن عمي الزنيم
واقفًا يتشفى بوجهٍ لئيم
لم يكن في يدي حربةٌ ،
أو سلاح قديم ،
لم يكن غير غيظي الذي يتشكى الظمأ

(٨)

لا تصالح ،
إلى أن يعود الوجود لدورته الدائرة
النجوم . لميقاتها
والطيور . . لأصواتها
والرمال . . لذراتها
والقتيل لطفلته الناظرة .
كل شيءٍ تحطم في لحظةٍ عابرة .
الصبا ـ بهجةُ الأهـل ـ صـوتُ الحصـان ـ التعـرفُ
بالضيف ـ همهمةُ القلبِ حين يرى برعما في الحديقة يذوي

ـ الصلاة لكي ينزلَ المطر الموسمي ـ مرواغة القلب حين يرى طائر الموت .

وهو يرفرفُ فوقَ المبارزةِ الكاسرة

كل شيءٍ تَحطم في نزوةٍ فاجرة

والذي اغتالني : ليس ربا

ليقتلَني بمشيئته

ليس أنبلَ مني . . ليقتُلَني بسكينته ،

ليس أمهر مني ، ليقتلني باستداراته الماكرة

لا تصالح ،

فما الصلح إلا معاهدة بين ندين . .

(في شرف القلب)

لا تنتقص

والذي اغتالني محض لص

سرقَ الأرض من بين عيني

والصمت يطلـق ضحـكته

الساخرة !

لا تصالح ،

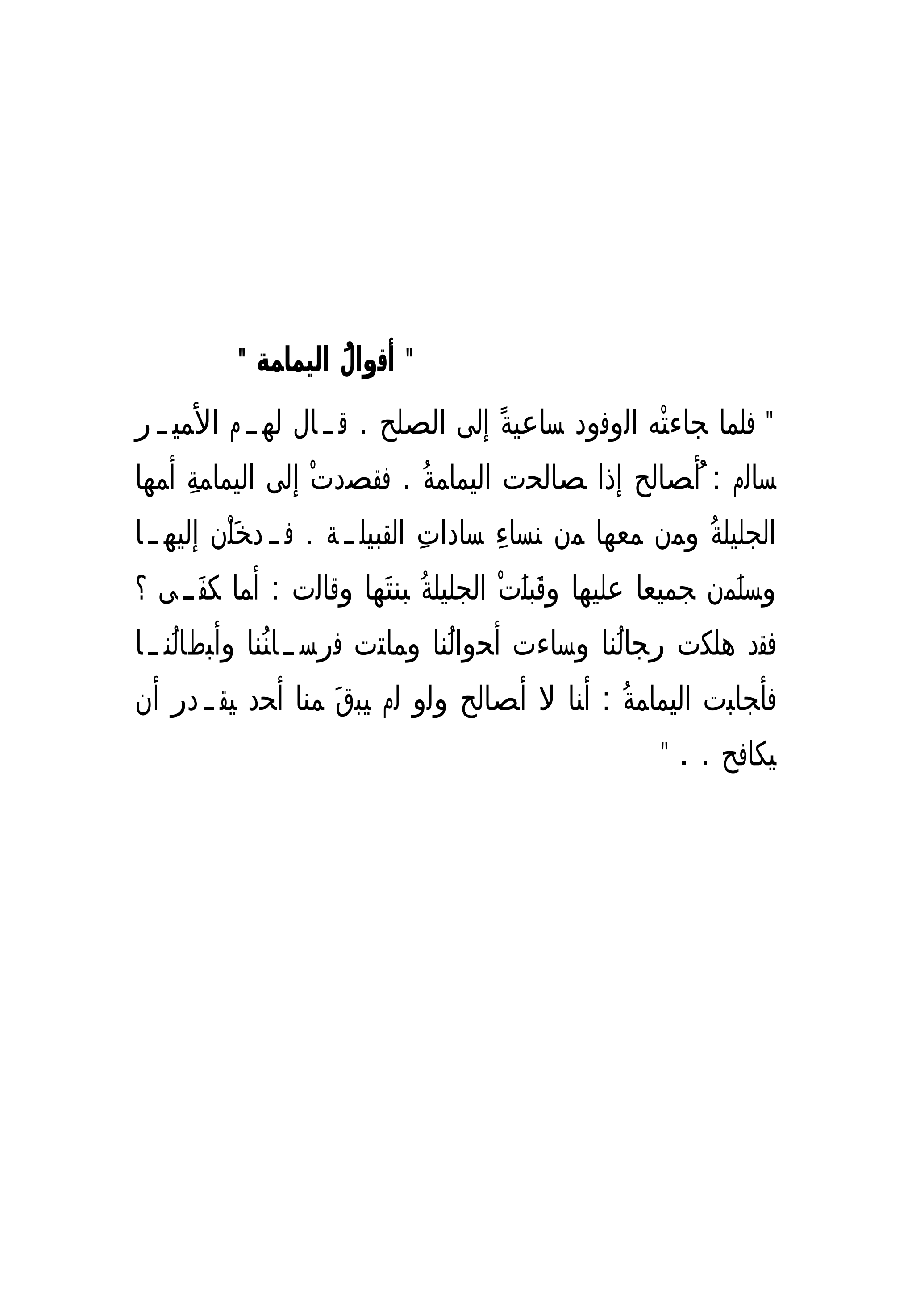
ولو وقفت ضد سيفك كل الشيوخ .

والرجالُ التي ملأتها الشروخ ،
هؤلاء الذين يحبون طعم الثريد ،
وامتطاء العبيد ،
هؤلاء الذين تدلت عمائمهم فوقَ أعينِهم ،
وسيوفُهم العربيةُ قد نسيتْ سنواتِ الشموخ
لا تُصالح ،
فليس سوى أن تُريد
أنتَ فارس هذا الزمان الوحيد
وسواك . . المسوخ !

(١٠)

لا تُصالح
لا تُصالح

نوفمبر تشرين
الثاني ١٩٧٦



" أقوالُ اليمامة "

" فلما جاءتْه الوفود ساعيةً إلى الصلح . قـال لهـم الأميـر سالم : ُأصالح إذا صالحت اليمامةُ . فقصدتْ إلى اليمامةِ أمها الجليلةُ ومن معها من نساءِ ساداتِ القبيلـة . فـدخلْن إليهـا وسلَمن جميعا عليها وقَبلَتْ الجليلةُ بنتَها وقالت : أما كفَـى ؟ فقد هلكت رجالُنا وساءت أحوالُنا وماتت فرسـانُنا وأبطالُنـا فأجابت اليمامةُ : أنا لا أصالح ولو لم يبقَ منا أحد يقـدر أن يكافح . . "

(١)

أبي . . لا مزيد !

أريد أبي ، عند بوابة القصر ،

فوق حصان الحقيقة

منتصبا . . من جديد

***

ولا أطلب المستحيلَ ولكنه العدل

هل يرثِ الأرض إلا بنوها ؟

وهل تتناسى البساتين من سكنوها ؟

وهل تتنكر أغصانُها للجذور . .

(لأن الجذور تُهاجر في الاتجاه المعـاكس

؟)

هل تترنم قيثارةُ الصمت . .

إلا إذا عادت القوس تذرع أوتارها العصبية ؟

والصدر حتى متى يتحمل أن يحبس القلب . .

قلبي الذي يشبه الطائر الدموي الشريد ؟

***

هي الشمس تلك التي تطلع الآن ؟

أم أنها العين ـ عين القتيل ـ التي تتأمل شاخصة :

دمه يترسب شيئًا فشيئا . .

ويخضر شيئًا فشيئا . .

فتطلع من كل بقعة دم : فم قرمزي . .

وزهرة شر . .

وكفان قابضان على منجل من حديد ؟

هي الشمس ؟ أم أنها التاج ؟

هذا الذي ينتقل فوق الرؤوس إلى أن يعود

إلى مفرق الفارس العربي الشهيد ؟

***

أقول لكم : أيها الناس كونوا أناسا !

هي النار ، وهي اللسان الذي يتكلم بالحق !

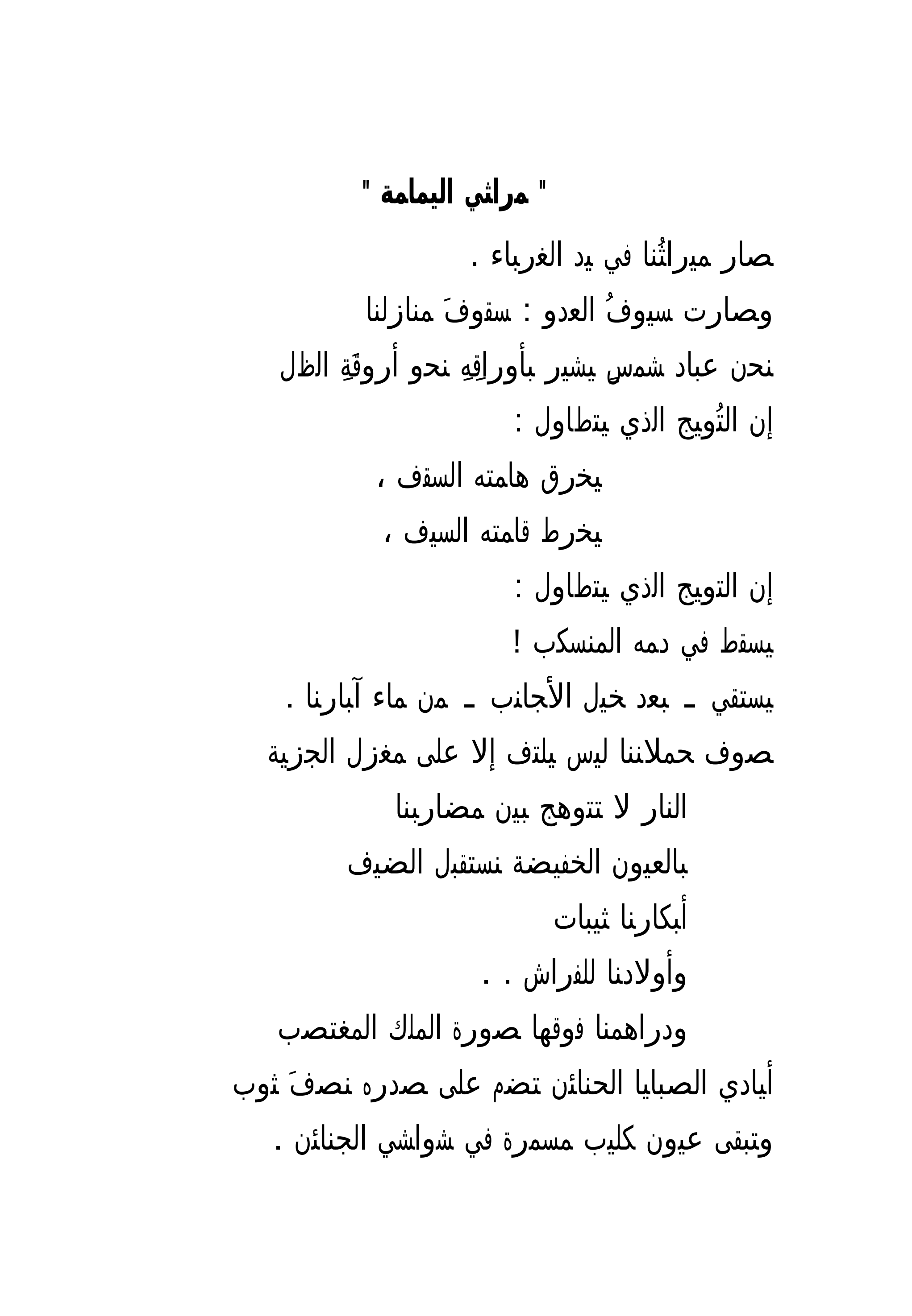
إن الجروح يطهرها الكي ،

والسيف يصقله الكير .

والخبز ينضجه الوهج ،

لا تدخلوا معمدانية الماء . .

بل معمدانية النار . .
كونوا لها الحطب المشتهى والقلوب : الحجارة ،
كونوا . . إلى أن تعود السماواتُ زرقاء
والصحراء بتولا . .
تسير عليها النجوم محملةً بسلال الورود
أقول لكم : لا نهاية للدم . .
هل في المدينة يضرب بالبوق ثم يظل الجنود
على سرير النوم ؟
هل يرفع الفخ من ساحة الحقل . . كي تطمئن العصافير ؟
إن الحمام المطَوقَ ليس يقدم بيضتَه للثعابين . .
حتى يسود السلام
فكيف أُقَدم رأس أبي ثمنًا ؟
من يطالبني أن أُقدم رأس أبي ثمنًا . . لتمر القوافلُ آمنةً ،
وتبيع بسوق دمشق حريرا من الهند
أسلحةً من بخاري ،
وتبتاع من بيت جالا العبيد
؟



" مراثي اليمامة "

صار ميراثُنا في يد الغرباء .
وصارت سيوفُ العدو : سقوفَ منازلنا
نحن عباد شمسٍ يشير بأوراقِهِ نحو أروقَةِ الظل
إن الثُويج الذي يتطاول :
يخرق هامته السقف ،
يخرط قامته السيف ،
إن التويج الذي يتطاول :
يسقط في دمه المنسكب !
يستقي ـ بعد خيل الأجانب ـ من ماء آبارنا .
صوف حملاننا ليس يلتف إلا على مغزل الجزية
النار لا تتوهج بين مضاربنا
بالعيون الخفيضة نستقبل الضيف
أبكارنا ثيبات
وأولادنا للفراش . .
ودراهمنا فوقها صورة الملك المغتصب
أيادي الصبايا الحنائن تضم على صدره نصفَ ثوب
وتبقى عيون كليب مسمرة في شواشي الجنائن .

أسائل :
من للصغار الذين يطيرون ـ كالنحل فوق التلال ؟
ومن للعذارى اللواتي جعلن القلوب :
قوارير تحفظ رائحة البرتقال ؟
ومن سيروض مهر الخيال ؟
ومن سيضمد ـ في آخر الصيد ـ جرح الغزال ؟
ومن للرجال . .
إذا قيل " ما نسب القوم " ؟
فانسكبت في خدود الرمال دموع السؤال ؟
بنات أبي ـ الزهرات الصغيرات ـ يسألْنني
لِم أبكي أبي ؟ !
ويبكين مثلي
ويخلدن للنوم حين أغالب دمعي ،
وأروي لهن الحكايا
عن الملك النسر
والملك الثعلب
فإن نمن . . جاء أبي ليهز الأراجيح
يلمسن وجناتهن . .

ويعطي لهن اللعب . .

ويمضي . . وعيناه مسبلتان . .

وساقاه تشتكيان التعب . .

أبي ظامئٌ يا رجال

أريقوا له الدم كي يرتوي

وصبوا له جرعةً جرعة في الفؤاد الذي يكتوي

عسى دمه المتسرب بين عروق النباتات ،

بين الرمال . .

يعود له قطرةً قطرة . .

فيعود له الزمن المنطوي

....

(٢)

خصومةُ قلبي مع ا . . ليس سواه

أبي أخذَ الملك سيفًا لسيف ، فهل يؤخذُ الملك

منه اغتيالاً ،

وقد كللته يد ا بالتاج ؟ !

هل تنزع التاج إلا اليدان المباركتان ،

وهل هان ناموسه في البرية

حتى يتوج لص . . بما سرقته يداه ؟

خصومةُ قلبي مع ا . .

إني ُأنَزه سهم منيتِهِ أن يجئ من الخلف .

إن الذي يطلقُ السهم ليس هو القوس . .

بل قلب صاحبه ،

والذي يجعلُ النفس تستقبلُ الموتَ راضيةً . . نبلُ واهِبه ،

فأنا أرفض الموتَ غدرا . .

فهل نَزلَ ا ُ عن سهمِهِ الذهبي لمن يستهين بِهِ ؟

هل تكون مكان أصابعه . .بصماتُ الخطاة ؟

خصومةُ قلبي مع ا . . ليس سواه !

كليب يموت . .

ككلب تصادفه في الفلاة ؟

إذن فلماذا كسا وجهه الصورةَ الآدمية ؟

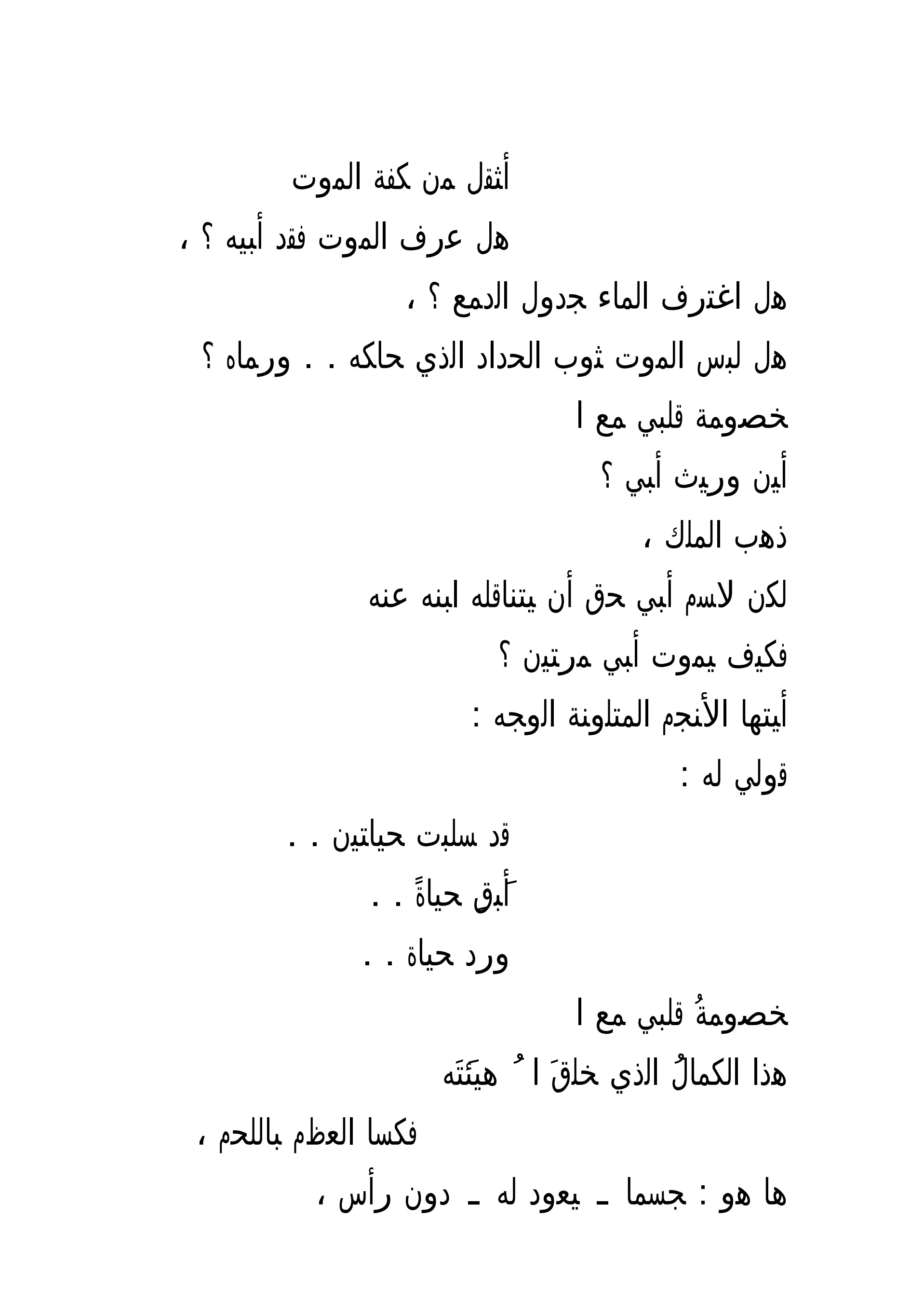
هل كرم ا ُ إنسانَه ؟

مات من مات كلبا . . فأين إذا ذهب الآدمي الذي

قد يراه ؟

خصومة قلبي مع ا

قلبي صغير كفستقة الحزن . . لكنه في الموازين



أثقل من كفة الموت

هل عرف الموت فقد أبيه ؟ ،

هل اغترف الماء جدول الدمع ؟ ،

هل لبس الموت ثوب الحداد الذي حاكه . . ورماه ؟

خصومة قلبي مع ا

أين وريث أبي ؟

ذهب الملك ،

لكن لاسم أبي حق أن يتناقله ابنه عنه

فكيف يموت أبي مرتين ؟

أيتها الأنجم المتلونة الوجه :

قولي له :

قد سلبت حياتين . .

أبقِ حياةً . .

ورد حياة . .

خصومةُ قلبي مع ا

هذا الكمالُ الذي خلقَ ا ُ هيئَته

فكسا العظم باللحم ،

ها هو : جسما ـ يعود له ـ دون رأس ،

فهل تتقبل بوابة الغيب ما شابه العيب ؟ ،
أم أن وجه العدالة :
أن يرجع الشلو للأصل ،
أن يرجع البعد للقبل ،
أن ينهض الجسد المتمزق مكتمل الظل
حتى يعود إلى ا . . متحدا في بهاه ؟

(٣)

يجئ أخي
هل عباءته الريح ؟
هل سيفه البرق ؟
هل يتمنطق فوق جواد السحاب ؟
يجئ أخي !
غافلاً عن كتاب المواريث
عن دمه الملكي ،
عن الصولجان الذي صار مقبضه العاج :
رأس غراب !
يجئ أخي .
(كان يعرفه القلب !)

أقذف تفاحة

يتصدى لها وهو يطحنها بالركاب !

(هي الخطأ البشري الذي حرم النفس فردوسها

الأول المستطاب)

أثني فأقذفُ تفاحة . .

تستقر على رأس حربته !

(أيها الوطن المستدير . . الذي تثقب الحرب عذرته

بالخراب)

. . وتفاحة تتلقفها يده !

(هي جوهرة الملك ،

جوهرة العدل ،

جوهرة الحب . .

فالحب آب !)

***

قلوب ثلاثية شارة الزمن القادم المستجاب

قفوا يا شباب !

لمن جاء من رحم الغيب ،

خاض بساقيه في بركة الدم

لم يتناثر عليه الرشاش ،
ولم تبد شائبة في الثياب !
قفوا للهلال الذي يستدير ..
ليصبح هالات نور على كل وجه وباب !
قفوا يا شباب !
كليب يعود . .
كعنقاء قد أحرقت ريشها
لتظل الحقيقة أبهى . .
وترجع حلتها ـ في سنا الشمس . . أزهى . .
وتفرد أجنحة الغد . .
فوق مدائن تنهض من ذكريات الخراب ! !

" إشارات تاريخية "

البسوس :

هي المرأة التي أثارت الفتنة بين قـيس وأشـعلت الحـرب أربعين سنة ، وأثارت بني بكر على بني تغلـب ، وحملـت اسمها الملحمة . وهي كما تقول الرواية (شاعرة عجوز من عجائب الزمان ذات مكر واحتيال وخداع) . .

وكان لها أربعة أسماء (سعاد . . تاج بخـت . . هنـد . . البسوس) وهي أخت الملك حسان اليماني الذي قتله الأميـر كليب من أجل ابنة عمه وخطيبته الجليلة .

كليب بن ربيعة :

اسمه وائل ، وكليب لقبه ، نشأ في حجر أبيه ، ودرب علـى الحرب ، ثم تولى قيادة الجيش لبكر وتغلب زمنا . " فكـان ليث الصدام وزينة الليالي "

كما تقول الرواية .

جليلة بنت مرة :

شاعرة . ابنة عم كليب ، وزوجته التي أنجبت له سبعة بنات ، وولدا بعد موته هو (الهجرس) البطل المنتقم لأبيه .

وبعد مقتل زوجها كليب على يد أخيها جساس ، خرجت من تغلب وتنقلت مع بني شيبان قومها مدة حروبهم حتى ماتت .

اليمامة :

كبرى بنات كليب . . تقول الرواية إنها رفضت الديـة فـي أبيها . .

وكانت تقول :

" أنا لا أصالح حتى يقوم والدي

ونراه راكبا يريد لقاكم "

وقد اختصمت مع أمها أخت قاتل كليب . . حتـى رحلـت الجليلة مع قومها .

جساس بن مرة :

ابن عم لكليب وقاتله بعد أن نجحت البسوس (التي أقامـت في ضيافته) في أن تثير الفتن : بـأن أمـرت عبيـدها أن يطلقوا ناقتها الجرباء ترعى في البسـتان المعـروف بحـي كليب . وتدمر الأشجار والأسوار . . حتى أمر كليب بـذبح الناقة ، ويقال إن جساسا هو آخر قتيل في حـرب البسـوس التي استمرت منذ مقتل كليب وحتى مصرع جساس أربعـين عاما .

المهلهل بن ربيعة :

هو سالم الملقب بالزير أو أبو ليلى المهلهل الكبير أخو كليب وبطل السيرة والملحمة . . يصفه الرواة : (بالأسد الكـرار والبطل المغوار صاحب الأشعار البديعة والوقـائع المهولـة المريعة) .

عندما أعلنته اليمامة وصية أبيها قال : إني لا أصـالح إلـى الأبد ، ما دامت روحي في هذا الجسد .

" تذييل "

" حاولت أن أقدم في هذه المجموعة حرب البسـوس التـي استمرت أربعين سنة عن طريق رؤيا معاصرة .

وقد حاولت أن أجعل من كليب رمزا للمجد العربي القتيل أو للأرض العربية السليبة التي تريد أن تعود إلى الحياة مـرة أخرى ولا نرى سبيلاً لعودتهـا أو بـالأحرى لإعادتهـا إلا بالدم . . وبالدم وحده . .

وهذه المجموعة عبارة عن قصائد مختلفـة ، استحضـرت شخصيات الحرب وجعلت كلا منها يدلي بشهادته التاريخيـة حول رؤيته الخاصة . .

ومن الطبيعي أن يكون لكل من هذه الشخصـيات شـهادتها المختلفة عن شهادة الأخرى . .

لقد استحضرت الملك كليب نفسه فـي سـاعاته الأخيـرة ، وأدلت اليمامة التي كانت ترفض الصلح بشهادتها ، وكـذلك فعل المهلهل الذي قاد الحرب انتقاما له . . وقـدمت شـهادة جساس مع تبريراته لجريمته ، ثم شهادة جليلة بنـت مـرة الممزقة بين البطلين . . " زوجها وأخيها " ثم أتيت بشهادات لبعض الشخصيات التي تلعب دورا معلقا على الأحداث . . "

أمل دنقل

عن مجلة آفاق عربية ـ ١٩٨١

والديوان بصورته الأخيرة هذه . . يحتوي على شهادتين أو قصيدتين فقط هما : " الوصايا العشـر ، وأقـوال اليمامـة ومراثيها " وقد كتبت قصائده ما بين (١٩٧٦ ـ ١٩٧٧) .

أما الشهادات (القصائد) الأخرى التي تحدث عنها أمـل ، فقد ظلت تتبدل وتتغير يوما بعد آخر ، رافضة الوصول إلى حل يقنع الشاعر باكتمالها النهائي . ذلك على الـرغم مـن اكتمال أجزاء كثيرة منها في ذاكرة الشاعر (الذي لا يسجل قصيدته على الورق إلا بعد أن يقتنع باكتمالها الأخير) .

ومات أمل قبل أن تكتمل شهاداته (قصـائده) فـي ذهنـه المبدع ، وقبل أن يقنع ذهنه المبدع بصيغة إبداعية أخيـرة ، وقبل أن ينتقم الزير لمقتل أخيه كليـب ، وقبـل أن تضـع الحرب أوزارها ، لتظل الرؤيا باحثة عن حل يكتمـل فـي الإبداع أو يتحقق في الواقع .